

النخلة في الجزيرة العربية من خلال المصادر العربية والكلاسيكية قبل الإسلام

دراسة حضارية

فتحية حسين عقاب

أولاً: نظرة تاريخية:

١. بداية الانتشار للنخلة:

تعود معرفة تاريخ جذور شجرة نخيل التمر *phoenix dactilyfera* من خلال الشواهد التاريخية والأثرية في الجزيرة العربية والمناطق ذات العلاقة إلى ما قبل التاريخ، حيث كشف علم الجيولوجيا عن نماذج متحجرة من النخيل في أمريكا الشمالية وشمال أوروبا يرجع تاريخها إلى العصر الإيوسيني، وكذلك وجدت نماذج أخرى من هذه المتحجرات في الهند، غير أنه من الصعب تحديد نوع النخل الذي تنتسب إليه هذه المتحجرات، أو الجزم بأن القارتين أمريكا وأوروبا كانتا موطناً للنخل لعدم توافر دراسة مماثلة لها في آسيا^(١)، ولا يزال هناك خلاف كبير بين آراء المؤرخين حول مكان نشأة النخيل، حيث يرى بعض الباحثين ومنهم بيكاري أن شمال غرب الهند وشواطئ الخليج العربي كانت الموطن الأول لنخيل التمر^(٢) ومما يدعم هذا الرأي الظروف الجغرافية للمنطقة التي تتوافق مع ما يلائم نمو النخيل، وكذلك ما تذكره المصادر السومرية عن

^(١) Paul Popenoe, "The Date-Palm in Antiquity" in *The Scientific Monthly*, vol.19, No.3 (sep., 1924), 313-325, by: American Association for the Advancement of Science, 313.

^(٢) Popenoe, "The Date-Palm, 314.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيط. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلالي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج ١، ص ١٦٩-١٩٠

نخلة دلمون "باعتبارها معياراً للتفوق والامتياز، فقيل" أن الملك عزيز مثل نخلة دلمون"، وتقول التراتيل السومرية: "قبل ظهور دلمون وجدت هناك نخلة" في إشارة لقدم النخل في منطقة الخليج العربي^(٣)، ويذكر رأي آخر أن الشواطئ الشرقية للمحيط الهندي تعد الموطن الأول لنخيل التمر، ثم انتشر غرباً إلى الخليج العربي ووادي النيل والبحر المتوسط، في قبرص وصقلية وكريت^(٤)، حيث يرى العالم النباتي دي كاندول De Candolle أن نخل التمر نشأ منذ عصور ما قبل التاريخ في المنطقة شبه الجافة التي تمتد من السنغال إلى حوض الإندوز Indus (اليوم الباكستان) فيما بين خطي عرض ١٥، ٣٠ شمال خط الاستواء ومنها انتشرت إلى الهند ثم إلى الشرق الأقصى. ودلت الحفريات الأثرية على وجود أشجار النخيل في السند منذ حوالي ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد^(٥)، فالسجلات التاريخية تميل إلى وصف ثمار هذه الشجرة من دون تحديد فيما إذا كانت من نبتة محسنة أو من نبتة برية، وكذلك من الصعب تحديد بذور شجرة نخيل التمر أو أجزاء أخرى منها أنها من نبات مُحسّن أو بري من خلال الشواهد الأثرية، بيد أن المصادر تفترض أن نخيل التمر في وادي دجلة والفرات من نبات مُحسّن متماشية مع تطور الزراعة في المرحلة المبكرة حيث إن ممارسة الزراعة كانت عبر ٥٠٠٠ آلاف عام^(٦).

ومن المحتمل أن نخيل التمر تكاثر في وادي الأندوز هجيناً طبيعياً من نخيل السكر phoenix

^(٣) قصي منصور التركي، التجارة البحرية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل ميلاد السيد المسيح، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، (٢٠٠٤م)، ٣٥١.

^(٤) عبدالجبار البكر، نخلة التمر، ماضيها وحاضرها والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارها، (الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢م)، ٤؛ Zohra Cheḩrif, "Le palmier dattier et son image dans l'iconographie carthainoise, in : Le Sahara et l'homme un savoir pour un savoir faire, Actes du colloque organisé à douz du 27 au 29 Décembre, 2003, 68,

^(٥) فتحي حسين علي، نخلة التمر شجرة الحياة، بين الماضي والحاضر والمستقبل، (الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ٣٦/١.

^(٦) G. Sanderson, *Natural History of the Date Palm Phoenix Dactylifera*. Emirates Natural History Group Patron: H.E. Sheikh Nahyan bin Al Nahyan, United States of America, 2001, 3; M. Nesbitt, *Archaeobotanical Evidence for Early Dilmun Diet at Sax, Bahrain. Arabian archaeology and epigraphy*, 1993, vol. 4, no. 1, 30-31.

sylyestris حيث إنها كانت ثماراً برية ذات قيمة، وجرى عليها تحسين في مرحلة مبكرة تعود إلى الألف السادس قبل الميلاد^(٧).

وقد عُثِرَ على بذور تمر النخيل في مناطق المستوطنات البشرية التي تعود لفترة حوالي ٥٠٠٠ ق.م. فكان أقدمهما تلك التي في جزيرة دُلْمَا وهي جزء من جزر "أبو ظبي". بذرتان وُجِدَتَا عام ١٩٩٨، أقدمهما تعود إلى ٥١١٠ ق.م. والأخرى إلى ٤٦٧٠ ق.م. وحيث أن لا شواهد لتطوير نخيل التمر في المنطقة في تلك الفترة، فإنه من المحتمل أن البذور جاءت مع التجار^(٨).

إلا أن الشاهد الأقدم على نخيل التمر المحسن يعود لفترة إريدو^(٩) Eridu في جنوب العراق، وكذلك عُثِرَ على نوى التمر في الألف الثالثة قبل الميلاد في مقبرة ملكية في أور Ur إلا أن أصولها غير معروفة^(١٠)، وفي نفس الفترة (الألف الثالثة قبل الميلاد) أيضاً عُثِرَ على نوى التمر في مستوطنات عمان^(١١).

النصوص التي نُقِشَتْ على الأختام والتي تعود إلى منتصف الفترة السومرية (٢٥٠٠ ق.م.) تُوثق استخدام التمر في بلاد ما بين النهرين^(١٢)، ومن ثمّ دلائل أخرى من عصر فجر السلالات (٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق.م.) تؤكد وجود شجر النخيل من خلال استخدام العلامة المسماة التي تُعبّر عن النخل. ووجد في إحدى الوثائق من عهد الملك شوسن من سلالة أور الثالثة (١٩٧٨-١٩٧٠ ق.م.) إشارة إلى بستان نخيل كان وَقْفاً على أحد المعابد، وفيه يقسم البستان إلى ثمانية أقسام حسب عمر النخل وإنتاجه^(١٣).

^(٧) Sanderson, *Natural History*, 2.

^(٨) Sanderson, *Natural History*, 2.

^(٩) تقع على مسافة ١٢ ميلاً جنوب أور، وتعد من مدن ما قبل الطوفان، إذ تعود بداية نشأتها إلى أوائل الألف الرابع قبل الميلاد (البكر، نخلة التمر، ٦).

^(١٠) Sanderson, G., *Natural History*, 3.

^(١١) نورة النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، (الرياض: دار الشواف للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م)، ١٣٤؛ التركي، التجارة البحرية، ٣٥٢.

^(١٢) Nesbiit, *Archaeobotanical Evidence*, 31.

^(١٣) البكر، نخلة التمر، ٦.

٢. الألفاظ الدالة على النخيل والتمر:

جاءت الشواهد في النصوص المختلفة من المنطقة السامية لتؤكد وجود النخيل في المنطقة. فالكلمتان السومريتان اللتان تقابلان تمر هما zulum ونخيل التمر هي gishimmar إذ تنتمي هاتان إلى مجموعة كلمات تعد غير سومرية أي "دخيلة/ مُستعارة" من لغة ما قبل السومرية pre-Sumerian فكانت مرافقة لسكان قبل السومريين الأصليين. ما يدل على أن التمر كان معروفاً قبل السومريين، أو من المحتمل أنه نبات فطري / طبيعي في المنطقة^(١٤).

وهناك عدة ألفاظ تدل على التمر/ النخيل شاع استخدامها تعود إلى حوالي ٢٥٠٠ ق.م. مثل: suluppu "يقطع، ينضج، بلح، تمر"^(١٥)، و uhinnu "تمر جاف/ الحشف"^(١٦)، تمر ناضج، طازج^(١٧). واستخدمت النصوص البابلية القديمة عبارة asnû إشارة منها لنخيل التمر الملون^(١٨)، وهي من ضمن الأشياء التي خصصت للمعبود^(١٩). وما يطلقه زُراع النخيل في عراق العصر الحديث لفظة "النال"^(٢٠) وهي من أصل لفظة tiālum "شجرة" الأكادية^(٢١). وفي العبرية الحديثة deqel "نخيل التمر، تمر"، وفي الآرامية d'iqālā^(٢٢)، وهي تقابل الكلمة العربية الدَّقَل

^(١٤) Sanderson, G., *Natural History*, 3.

^(١٥) CAD, *The Assyrian Dictionary of The Oriental Institute of The University of Chicago*, 1984, vol. 15: 393

^(١٦) J. Postgate, "Notes on the Fruit in the Cuneiform Sources", *Bulleton Sumerian Agriculture*, 3,115; Nesbiit, *Archaeobotanical Evidence*, 31.

^(١٧) AHV: Von Soden. *Akkadisches Handwörterbuch*. (Wiesbaden 1958 ff.),1404.

^(١٨) CAD, *The Assyrian Dictionary*, 1(II), 338.

^(١٩) Nesbiit, *Archaeobotanical Evidence*, 31.

^(٢٠) البكر، نخلة التمر، ٩.

^(٢١) I. Gelb, *Glossary of Akkadian*. The University of Chicago Press, Chicago, 1957, 292.

^(٢٢) (BDB) F. Brown.; S. Driver, R.; C. A. Briggs, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, Oxford, The Clarendon Press, 1972, 200.

"أردأ أنواع التمر"^(٢٣). وفي العربية الجنوبية ن خ ل "نخل، نخيل"^(٢٤). ووردت اللفظة ش ش في النقوش الثمودية لتشير إلى النخل^(٢٥)، وهي تقابل الكلمة العربية شيش "نخيل عقيم، بلا ثمار، أو نخيل رديء"^(٢٦)، بالإضافة إلى ألفاظ المشتقة من الحروف الصامتة م ر في كل من العربية والعبرية والحبشية^(٢٧). يشير بليني إلى أن شجرة نخيل التمر التي تنمو في مصر تسمى adipsos^(٢٨)، ومن أسمائه بنرت benert و bener^(٢٩). فالنخل هو شجر التمر ومفردتها نخلة وسميت بالينة و"الجمارة" و"الطيبة" و"الضامنة" و"السعفة" مجازاً باسم أشهر أغصانها وأبرزها^(٣٠)، ومن أسمائها عند العرب غير تلك الشائعة أيضاً: البُهْرَة "النخلة الطويلة أو التي تنالها بيدك"^(٣١) والبُهْوَزَة "النخل كثير الحمل" والعَشَّة "النخلة الصغيرة" والبُصاق "جنس من خيار النخل" والعسيب "جزء من النخلة" والسككير "صغار النخل"^(٣٢).

(٢٣) نشوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين العمري ومطهر الإرياني ويوسف عبدالله (دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م)، ٢١٢٥.

(٢٤) ألفرد بستون، جاك ريكمانز، محمود الغول، والتر مولر، المعجم السبئي، (مكتبة بيروت، بيروت ودار نشر بيترز، لوفان الجديدة، ١٩٨٣م)، ٩٤.

(٢٥) Van den Branden, *Les text thamoudeens de Philpy* I. II. Bibliothqu du muséon vols 39, 41. Louain. (BP I), 210 ad in BP 1.

(٢٦) جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، تحرير إمام عبدالوهاب ومحمد العبيدي، (دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التراث العربي)، ٢٥٦/٧.

(٢٧) BDB 1071; W. Leslau, *Comparative Dictionary of Ge'ez (Classical Ethiopic)*, Wiesbaden, 1987, 576.

(٢٨) Pliny, *Natural History*. Cambridge, Massachusetts. Harvard University Press, London, 1945, William Heinemann LDT. Translated by H. Rackham, M. A. Fellow of Christ's College, Cambridge. (1986), XLVII.

(٢٩) عبداللطيف واكد، النخيل (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م)، ٤٩.

(٣٠) عبدالملك يونس عبدالرحمن، "النخلة في حضارة وادي الرافدين"، *آداب الرافدين*، العدد ١٥، أيلول، ١٩٨٢م، ٢٨٢.

(٣١) محمد الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، *التاج العروس*، دار الفكر، بهزر.

(٣٢) للمزيد عن أسماء النخيل في اللغة العربية أنظر: الصعيدي أنظر: عبدالفتاح موسى الصعيدي، *الإفصاح في فقه اللغة*، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٩م)، أنور أبو سويلم، "النخلة في الشعر الجاهلي" مؤتة=

٣ . الأهمية الدينية للنخلة:

نظر العرب للنخلة نظرة تقديس؛ إذ عدوها رمزاً من رموز ألهمتهم، حيث اتخذت رمزاً للشمس^(٣٣)، متأثرين في ذلك بما هو كائن في الحضارات السابقة أو المعاصرة من تقديس وتبجيل، إذ أطلق عليها شجرة الحياة^(٣٤)، ونستوحي ذلك من تسمية لعصير التمر "نوع من الخمور" بشراب الحياة" لدى قدماء المصريين^(٣٥). ومن خلال ما عُثر عليه من رسومات لشجرة النخيل في قصور ومعابد بلاد ما بين النهرين / في بابل فقد زينت معابدها من الداخل برسومات هذه الشجرة وفي مداخل المدن. ومن المظاهر الدينية لها كان إله النخيل عندهم ممثلاً بامرأة بأجنحة من سعف النخيل^(٣٦)؛ ووجد في قصر آشور نصريال في نمرود "القرن التاسع قبل الميلاد" شجرة نخيل -وعلى جانبيها كائنات أسطورية تجمع سائلاً من الشجرة يستخدم بمسحة دينية لإدامة حكم الملك-. واتخذها البابليون رمزاً مقدساً لعلاقتها بالشمس شموخاً. كما اتخذها قدماء المصريين رمزاً مقدساً في أعيادهم، وامتد هذا التقديس لشجرة النخيل في الممارسات الدينية عند النصارى^(٣٧)، وعرف هذا العيد "بأحد الخوص" عند المصريين أو "أحد الشعانين" في بلاد الشام. ولم تُقتصر اللقى التي رُسم عليها شجرة النخيل في القصور، بل تعداه إلى العثور مثل هذا على الأختام التي تعود لفترات تاريخية مختلفة من حكم بلاد الرافدين مثل سومر. وقد ظهر المشهد على الختم بإيجاء

^(٣٣) = مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السادس، عدد ٢، (الأردن: جامعة مؤتة، ١٩٩١م)، ١١٦. فاطمة علي باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت، (الرياض: ٢٠٠٣م)، ٣٤٧؛ إبراهيم البرهمي، الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ٢٠٠٠م)، ١٣٤.

^(٣٤) حميد بن إبراهيم المزروع، "نقش تأسيسي للملك السبئي كرب إل وتار يهنك" الدارة، الستة الثلاثون - العدد الأول ١٤٢٥هـ، ١١٩-١٢٣.

^(٣٥) واكد، النخيل، ٤٩.

^(٣٦) البكر، نخلة التمر، ٩.

^(٣٧) الزيتون وهو أحد أعياد الأقباط، وهو عيد الشعانين، وفيه التسبيح في الأحد السابع من صومهم، وكانوا يخرجون بسعف النخل من الكنيسة، وكان الناس يسبحون بين يديه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وفي عيد الغطاس وهو أحد أعياد الأقباط يتهادون بالدقيق واللبن والتمر ويُسمَّى هذا اليوم بالنجم، وهما من الأعياد الكبيرة، محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجت الأثري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣١٤هـ)، ١ / ٢٥٧-٢٨٥.

أسطوري تؤكد النمط الديني لهذه الشجرة^(٣٨).

ومن مظاهر تقديس شجرة النخيل اللوحات التي تعود للفترة السومرية عليها هذه الشجرة وبجوارها نساء تحمل كل منهن عذقاً بيد وتعطي باليد الأخرى عذقاً لامرأة أخرى (شكل ١).



(شكل ١) لوحة تمثل تصور عملية قطف النخلة

كما يظهر ختم اسطواني سومري فيه قطف طلع النخلة الذكر وبمباركة من إله القمر، وهي أحد الرموز المقدسة في آشور "المحراث، الثور، الشجرة المقدسة، شجرة النخيل". وقد عُثر رسمها على تاج يعود إلى فترة حكم أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)^(٣٩). ومن الدلائل الدينية أيضاً لنخيل التمر استخدام جذوعه في بناء معبد القمر في أور U₂ بُني ما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ سنة مضت.

ومن منطوق ذلك نجد في الحوليات الآشورية إشارة لشجرة الحياة ما نصه، أن الملك سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) "ملك العالم - ملك آشور وبقوة الجبال حيث لا وجود لوفرة شجرة الحياة ولا (ولكن) نمو جذوع e'ari، القوة، ثبات الريح لا يؤخر التقدم؛ في المكان الذي أقيمت مخيمي لا أحد يقيم. وفوق الجبال أنا وجيشي ناضلنا ونجحنا"^(٤٠). كما جعلها

^(٣٨) واكد، النخيل، ٥٠؛ ميرنا مصطفى، "رمزية النخلة في الفترات القديمة"، مجلة الهاشمية، العدد الأول، ٢٠٠٦م، ٦٤-٧٣.

^(٣٩) البكر، نخلة التمر، ٦-٧؛ مصطفى، رمزية النخلة، ٦٥.

^(٤٠) Daniel David Luckenbill, 1927. *Ancient Records of Assyria and Babylonia: Historical Records of Assyria from Sargon to the End*, The University of Chicago. (Greenwood Press, New York, 1968), no. 484.

الفينيقيون رمزاً لآلهة الإخصاب عشروت^(٤١).

ولم تَحُلْ النقوش العربية الجنوبية من هذا الفهم الأسطوري لهذه الشجرة، ففي أحد النقوش المعينية نجد أن الإله عثر يهرق^(٤٢) تعهد برعاية النخيل: [...] تعهد الإله عثر يهرق نخيل ذء ب ذو يدع...^(٤٣) وفي نقش معيني آخر يتحدث عن استصلاح شجر النخيل كان في يوم ذي قدسية وهو يوم حج "احتفال بعيد"^(٤٤).

ويشير سميث في كتابه الموسوعي -إما نقلاً من سواه أو مما يستنتجه- إلى مناط تقديس الوثنيين في الجزيرة العربية للنخلة. فكانت الينابيع ذات النخيل محل تقديس عند عرب الجنوب، فكانوا يرون أنها تهب الحياة والصحة، وكان حجاجها يرجعون من حجهم وبصحتهم بعض هذه المياه^(٤٥). وفي أيام العرب اتخذها المحاربون رمزاً مقدساً وعلامة لإيقاف القتال عند حلول موسم الحج أو الأسواق^(٤٦).

وكانت النخلة شجرة مقدسة عند أهل نجران، وكانوا على دين العرب من الوثنية - فجاء في ثنايا قصة الرجل الورع الذي على دين عيسى -عليه السلام- فيمون والرجل صالح الذي أوردها ابن هشام -أن أهل نجران كانوا يعبدون نخلة طويلة، ويعكفون عندها، ويجعلون لها عيداً كل عام، ومن أمر العيد أن يزينوها بالأشرطة المعدنية^(٤٧)، ويعلقوا عليها كل ثوب حسن وحلي

^(٤١) شوقي عبدالحكيم، مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٨م)، ٥٩.

^(٤٢) وُسم هذا الإله بأنه إله السقس / الري ومانح الماء والحياة في حضارة جنوب الجزيرة العربية (انظر: صدقة، إبراهيم، آلهة سبأ كما ترد في نقوش محرم بلقيس، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٩٤م، ٣٨).

^(٤٣) RES 3326/ 1-5= M 305.

^(٤٤) RES 2952.

^(٤٥) رويتسن سميث، محاضرات في ديانة الساميين، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م)، ١٩٣-١٩٤.

^(٤٦) حمد صراي، عُمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي، (مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ١١٥.

^(٤٧) عبدالرحمن، "النخلة في حضارة وادي الرافدين"، ٢٨٠.

النساء^(٤٨)، ومن مظاهر تقديس العرب للنخلة ومكانتها أيضاً أن هناك قبيلة عربية اسمها جهينة عاشت قبل ظهور الإسلام عملت من التمر هيكلًا اتخذته إلهًا وعبدته، وحينما حل القحط والجفاف في ديارها وانتشرت بينهم المجاعة، اضطرت أن تجعل من إلهها طعاماً^(٤٩) فقال الشاعر فيهم:

أكلت جهينة ربها زمن التقم والمجاعة

ويقارن سمث شجرة نخيل نجران بتلك التي في مكة التي تُسمى ذات أنواط^(٥٠)، إذ كان أهل مكة يحجون إليها سنوياً ويعلقون عليها أسلحتهم وملابسهم ويبيض النعام وسواه من القرابين، ويحاول سميث أن يربط بين شجرة النخيل التي كان يعتقد أنها مقر الإلهة العزى وتلك التي ورد ذكرها في سورة الفتح - ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٥١) - والتي اجتمعتها "أي الشجرة الواردة في سورة الفتح" الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خوفاً من أن تُعبد كاللات^(٥٢) والعزى^(٥٣).

وكانت العزى من آلهة العرب وأول من اتخذها إلهة ظالم بن أسعد، وكانت بواد من نخلة الشامية عن يمين المصعد إلى العراق من مكة، فبنى عليها بيتاً وكانوا يسمعون به صوتاً وكانت أعظم الأصنام عند قريش. وكان سدنتها من بني شيبان من بني سليم وآخر سدنتها دبية بن حرمس السلمي. وبقيت تُعبد حتى بعث سيدنا محمد ﷺ خالد بن الوليد يوم الفتح إليها يبطن نخلة فأعضدها وقتل دبية. وجاء فيما يروى عن ابن عباس ﷺ في وصفها "أي العزى" كانت شيطانة

^(٤٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٣/١؛ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٩٨٤م، ٢٦٦/٥.

^(٤٩) عماد محمد الحفيظ، نخلة التمر في التراث العربي، (مصر: الدار الدولية للاستثمارات، ٢٠٠٤م)، ٤٠.

^(٥٠) الشجرة التي يعلق عليها القرابين، وهذا من أصل معنى ناط الشيء بمعنى "علقه" (الحميري، شمس العلوم: ٦٨٠٠).

^(٥١) سورة الفتح آية ١٨.

^(٥٢) وكانت على هيئة صخرة مربعة بالطائف وكان يهودي يلبث عندها السوق، وكان سدنتها من ثقيف وبنوا عليها بناء وكانت قريش والعرب تعظمها (الألوسي، بلوغ الإرب، ٢/٢٠٣).

^(٥٣) سميث، محاضرات، ١٩٣-١٩٤.

تأتي ثلاثة سُمرات^(٥٤) ببطن نخلة، فعضد خالد الأولى والثانية فوجدها في الثالثة، فإذا هي بجنّاسة نافشة الشعر، واضعة ثدييها على عاتقها، تصرف بأنيابها، وخلفها ديبّة السلمى، ضربها خالد ففلق رأسها، ثم قطع الشجرة "النخلة" وقتل ديبّة^(٥٥). ومن مظاهر تقديس الشجر بعامة لدى العرب في الجاهلية تسمية آلهتهم بأسماء النبات، فالخلصة "أحد آلهة العرب قبل الإسلام" فيما فسرها الألوسي: فمعناه في اللغة "نبات طيب الريح يتعلق بالشجر وله حب كعنب الثعلب"^(٥٦).

ونشير في هذا المقام لتكتمل الصورة حيال شجرة النخيل في المنحى الأسطوري إلى أحد أعياد اليهود، كما يشير إليه الألوسي في كتابه. ومن أعياد اليهود عيد المظال^(٥٧)، ومدته ثمانية أيام يبدأ من الخامس عشر من تشرين، والعرايا وهو اليوم الأخير من هذا العيد، وهو يوم حجهم إذ يجلسون في عيدهم تحت ظلال جريد النخل وأغصان الزيتون. والظلال عبارة عن طارمة^(٥٨) من قصب وسقفها من الجريد الأخضر وسعفه، إذ يترك داخلها أسفار التوراة. ومكانها في أعلى الدار، وتعمل على مراحل، ويستمر العمل ثمانية أيام: اليوم الأول يعمل الواحد فيه قبضة مرسين فيها ثلاثة عيدان في كل عود ثلاثة أغصان بعضها فوق بعض، وفي كل غصن أوراق ثلاث وفي وسطها قلب من سعف النخل مستقيم طوله ثلاثة قبضات^(٥٩).

وفي القرآن الكريم ذكر النخل ستاً وعشرين مرة، كان منها ست عشرة مرة عن فوائدها، منها الآية الكريمة ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾، وسيدنا محمد ﷺ الذي عاش في

^(٥٤) شجر صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس وليس في العضاه شيء أجود خشباً من السُمر ينقل إلى القرى فتغمر بها البيوت، والواحد منها سمرة (الألوسي، بلوغ الأرب، ٢/٢٠٤-٢٠٥)؛ انظر، هشام بن محمد ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، ١٩١٤، كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي، الطبعة ٣، ٤٤، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٥م)، ١٠١، ١٠٢.

^(٥٥) الألوسي ١٣١٤، بلوغ الأرب، ٢/٢٠٣.

^(٥٦) الألوسي ١٣١٤، بلوغ الأرب، ٢/٢٠٧.

^(٥٧) العهد القديم، نحما، ١٥/٨.

^(٥٨) الطارمة "بيت من خشب كالقبة، وهي لفظة دخيلة (الحميري، شمس العلوم، ٤٠٩٠)

^(٥٩) الألوسي ١٣١٤، بلوغ الأرب، ١/٣٦١-٣٦٢.

ثقافة تحترم التمر، يظهر لنا من أحاديثه الكثيرة مدى الاهتمام والتقدير للنخلة ما يؤكد أن هذه الشجرة في التراث الإسلامي تُعد شجرة الحياة^(٦٠).

الأهمية الاقتصادية:

كانت دلمون هي أكثر المناطق شهرة لإنتاج التمور وتصديرها، حيث تحتل قوائم الواردات من ساحل الشرقي للجزيرة العربية الصدارة في الكتابات السومرية والبابلية والآشورية والكلدانية^(٦١)، كما ذكر مؤلف كتاب الطواف في فقرة ٣٦ أن عمانا كانت تصدر التمور وخمورها^(٦٢).

وأسفر التنقيب الأثري الذي قامت به البعثة الدانمركية في مواقع قلعة البحرين ١٩٥٣ عن قصرين احتوى أحدهما مخزناً للتمور أرجعت تاريخه إلى ١١٨٠ ق.م أي يعود لفترة الحكم الكاشي، ومما يدعم هذا الرأي ما أشارت إليه وثيقة من الوثائق المسماة التي عثر عليها في مدينة نفر في بلاد الرافدين، مؤرخة في السنة الخامسة من حكم الملك بورنابورياش الثاني Burnaburiash 11 الذي حكم خلال الفترة (١٣٥٩-١٣٣٣ ق.م) تذكر أن دلمون كانت تصدر أجود أنواع التمور التي كانت محل تقدير في بابل^(٦٣) ومن أشهر ما يُذكر من الاتجار بالتمور أو سواها هو رحلة ملكة سبأ إلى فلسطين في الألف الأول قبل الميلاد، إذ أخذت معها من ضمن الهدايا إلى النبي سليمان عليه السلام تماًراً. وكان هذا وقت ما كان ميناء عدن مفتوحاً لتجارة الحرير والبضائع الأخرى من الشرق الأدنى^(٦٤).

كانت تجارة التمر على نطاق واسع في ذلك الزمن وكانت تُنقل البضائع على ظهور قوافل الجمال متجهة إلى البتراء وإلى ميناء غزة على البحر المتوسط وعبر الربع الخالي إلى الخليج العربي

^(٦٠) Sanderson, *Natural History*, 3.

^(٦١) النعيم، الوضع الاقتصادي، ١٣٥.

^(٦٢) صراي، عُمان، ١٨٧.

^(٦٣) عبدالعزيز علي صويلح، التسلسل الحضاري لمملكة البحرين، على ضوء نتائج التنقيبات الأثرية بين

١٨٧٩-٢٠٠٠، (مملكة البحرين، وزارة الثقافة والتراث الوطني)، ٨٩.

^(٦٤) Sanderson, *Natural History*, 3.

في البحرين. وهناك شواهد لوجود مستعمرات على طول طريق البخور، وكانت هذه المستعمرات تزرع محاصيل مختلفة، ومنها التمر لكي يتزود منه المسافرون. فبهذا الخصوص نشير إلى أن سكان سار هم أول العرب الذين سكنوا منطقة ظفار منذ بداية ٥٠٠٠ ق.م. وكانوا قد حَسَّنُوا من نخيل التمر، وهذا ما تُظهِره رسومات نخيل البلح الأثرية من فترة العصر الحجري التي وجدت بالقرب من صلالة اليوم. وكانت سار مهيمنة على صناعة البخور في ظفار^(٦٥).

النخلة من خلال الرسومات الصخرية:

تعد الرسومات الصخرية من أكثر المصادر التاريخية تأصيلاً وقدماً في التاريخ الحضاري الإنساني، لأن معظمها يعود لفترة ما قبل التاريخ، كما أنها أحد الفنون التي تسهم في بناء الجدار التاريخي لتطور المجتمعات الإنسانية، وهي شاهد أساس يعكس لنا الموروث الإنساني من معتقدات سائدة وفلسفة واقتصاد وفنون وغيرها من جوانب الحياة اليومية المختلفة.

وقد وجدت رسومات للنخلة على الصخور وجدران المعابد في مواقع متفرقة من الجزيرة العربية، تؤكد مدى تغلغل النخلة في حياة الإنسان العربي منذ امتهانه حرفة الزراعة واستقراره في عصور ما قبل التاريخ، وهذه الرسوم تختلف في جودتها وإتقانها من مكان لآخر، حسب ظروف المجتمع الذي وجدت فيه ومستوى الفنان ومدى قدرته على نقل ما شاهده من صور للنخيل في بيئته، جاء بعضها لأغراض دينية حيث صورت على مظاهر الطبيعة كجبل ياطب في حائل في وسط شمال الجزيرة العربية أو في منطقة العلا بشمال غرب الجزيرة العربية في طيب قرب موقع مذاخيل، ففي هذين الشكلين رسمت النخيل بشكل تجريدي متباين و بخطوط عودية متفرعة^(٦٦) أو على جدران المعابد لمعبد تدمر في شمال الجزيرة العربية أو معبد بلقيس في جنوب الجزيرة العربية.

^(٦٥) Sanderson, *Natural History*, 3.

^(٦٦) نداء عبدالرحمن الجلال، *جماليات الرسوم الصخرية في المملكة العربية السعودية*، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ١١٩.



(شكل ٢) رسومات للنخلة على جبل ياطب ترجع إلى عصر البرونزي

ثانياً: النخلة من خلال النقوش والأختام والعملات:

١. **النقوش العربية:** من أهم المصادر العربية التي تعكس أهمية النخلة في الجزيرة العربية، وجود الكثير من النقوش المكتوبة بخط المسند التي تذكر النخلة، ومن الغريب أننا لا نجد في النقوش النبطية المكتشفة حتى الآن كلمة نخلة، رغم استقرار الأنباط في مدن شمال غرب الجزيرة العربية التي يوجد فيها النخيل بكثافة لا يمكن تجاهلها، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا النخلة أو زراعتها، خاصة وأن معظم النقوش التي يرد فيها كلمة النخل أو النخيل كان يقصد بها المزرعة، ويعقبها طلب الحماية لها من الآلهة عثر وألمقة وذات حميم وذات بعدن وغيرها، مثل ما ورد في النقوش التالية:

4195bis; Ja541, 821; GL1725; RES 3902, 3911, 4326, R 4907, 4774,
5. 3915; M172, M168, 3641; CSA11,



(شكل ٣) نقش سيئي مزين يرسم النخلة

٢. الأختام:

عُثِرَ في الكويت - فيلكا ف٦ (Kuwait-Failaka F6) على ختم مصنوع من حجر الصابوني من الفترة البابلية القديمة، تُري زوجين من الآلهة يقابل أحدهم الآخر، وزوجين عارين يقفان بجانب شجرة نخيل^(٦٧). كما عثر على ختم آخر من الفترة الكوشية، وُجِدَت في فيلكا- الكويت ف٣، وهي مصنوعة من الزجاج الأبيض المائل إلى الاصفرار، وصناعتها رديئة، يُشاهد عليها شجرة نخيل ذات الأسلوب المعتاد في الرسم، وذكر واقف، وزوجان من الطباء جديان "راكعان"، ونقش مسماري مكون من خمسة أعمدة^(٦٨). كذلك اكتشف في فيلكا- الكويت ف٣ على ختم من فترة غير معروفة، مصنوعة من العقيق، يظهر عليها خطوط أفقية وبلح^(٦٩).

D. Potts, Cylinder Seals and their Use in the Arabian Peninsula, *Arabian* ^(٦٧)

Archaeology and Epigraphy, 2010, vol. 21, No. 1, 24.

Potts, Cylinder Seals., 30. ^(٦٨)

Potts, Cylinder Seals., 34. ^(٦٩)

ومن الفترة المتأينة^(٧٠)، عُثِر في حمد- البحرين في غرفة رقم ٢٧، على لوحة مصنوعة من الخزف المُرَجَج، تُري شخصين بدائيين anthropomorphs واقفان بجانب شجرة النخيل، وثالث رافعاً ذراعيه ويديه، وعلى يمين اللوحة الغزال وطائر^(٧١).

وعثر على مجموعة من الأختام الملونية في البحرين تحمل صوراً للنخلة. فقد عُثِر في مبنى رقم ٢١٠ منطقة ٢٠٧، على ختم يظهر عليه حيوانان ذكوريان ذوا قرون، وأعناق مطوقة على جانبي شجرة نخيل، الحيوان الذي على يسار الختم ينظر إلى الشجرة من فوق كتفه، ويوجد عقرب تحت الشجرة^(٧٢). تظهر شجرة النخيل في منتصف أحد الأختام، الذي وُجِدَ في مبنى رقم ٢٠٧ منطقة ٢٧٢، وعلى يمين الشجرة يظهر شكل ذكوري عارٍ يُقابل النخلة وإحدى ذراعيه تمتد لتمسك بها. ويقف على يسار النخلة حيوان ذكراً ذو قرون متوجه إلى يسار ناظر إلى النخلة بعد ليّ عنقه إلى الخلف^(٧٣).

وتظهر شجرة النخيل في منتصف ختم ذي ثلاثة فروع وثلاثة جذور ظاهرة، وعلى جانبي النخلة يوجد حيوانان ينظران إلى الجانب الآخر من النخلة إلا أن رأسيهما ملتفان باتجاه بعضها البعض، وعلى ظهر كل منهما شكل هلال. وقد عُثِر عليه في مبنى ٥٥ منطقة ٨١^(٧٤). ويمثل الختم الذي عثر عليه في مبنى ٦٣ منطقة ٣٠٦ الأختام في بعض ما عليه إلا أنه يوجد شكل شبه قرد يلمس سعفة النخيل^(٧٥).

^(٧٠) ميثاني، مملكة حورية بين القرن ١٥-١٤ ق.م. في شمال الهلال الخصيب في سوريا وتمتد في بعض الأحيان إلى الموصل وإلى حلب غرباً واللاذقية وحمص. وكان مركز المملكة منابع الخابور. ولغة هذه المملكة هي خليط من الحورية والأكدية والأمورية والآرامية.

^(٧١) Potts, Cylinder Seals., 28.

^(٧٢) H. Crawford, *Early Dilmun Seals from Bahrain-Art and Commerce in Bronze Age Bahrain*. Archaeology International. London-Bahrain Expedition: Ministry of Cabinet Affairs and Information, State of Bahrain Institute of Archaeology, University College London. 1999, 53

^(٧٣) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 54.

^(٧٤) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 55.

^(٧٥) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 68

وهناك نموذج آخر من الأختام، وجد في مبنى ٦٠ منطقة ٣٧٢- تظهر عليه زخرفة عادية، وهي خط مستقيم أفقي في منتصف الختم، وعلى طرفيه سعفتا نخيل، وفوق الخط وفي المنتصف قاعدة يعلوها هلال وبداخلها دائرة في المركز أو نجمة^(٧٦). ونوع آخر يظهر عليه رسم حليه "زخرفة" أو ما يشبه الشمس^(٧٧).

٣. العملات:

تضمنت وجه العملات [التي تحمل اسم تيترادراخمة Tetradrachms $\tau\epsilon\tau\rho\acute{\alpha}\delta\rho\rho\rho\chi\mu\omicron\nu$ ^(٧٨) والنوع الثاني الدراخمة $\delta\rho\rho\rho\chi\mu\acute{\eta}$ والجمع منها $\delta\rho\rho\rho\chi\mu\epsilon\varsigma$ أو $\delta\rho\rho\rho\chi\mu\alpha$ ^(٧٩)، أما الثالث فهو أوبولس $\acute{\omicron}\beta\omicron\lambda\omicron\varsigma$ Obols والجمع "oboloí"^(٨٠)] رأس هيركلس Heracles مرتدياً جلد أسد نيميان Nemean lion^(٨١).

بينما ظهر العملة فتضمنت صورة ذراعها الأيمن ممتدة سائدة هيئة فرس^(٨٢) horse protome، والذراع الأيسر مُلْتَفَّةً حول صولجان، وشجرة النخيل أمام ركبتيه، ويظهر من الجهة اليمنى نقشٌ آراميٌ لحروف خمسة تمثل لقباً legend وهي: الألف والباء والياء والألف واللام لاسم أبي إيل^(٨٣) Abi`el ومُدَلَّى بجانبه رمزٌ monogram مرساة على تيترادراخمة. وهذه

^(٧٦) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 68

^(٧٧) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 69.

^(٧٨) وهي نوع من العملات اليونانية القديمة الفضية والشائعة منذ ٥١٠-٣٨٠ ق.م، وهي تعادل أربعة دراخمات وهي العملة المستخدمة لدى الإغريق.

^(٧٩) وهي العملة المستخدمة لدى الإغريق.

^(٨٠) وهي عملة إغريقية من الفضة وتعادل ستة دراخمات.

^(٨١) وهو حيوان ضخم متوحش في الأسطورة الإغريقية - يقطن مدينة تدعى نيميان Nemean.

^(٨٢) *protome* في اليونانية $\pi\rho\tau\omicron\tau\omicron\mu\acute{\eta}$ "منظر، صورة، شكل" يستخدم كحلية.

^(٨٣) الاسم "أبي إيل" كان قد كُتِبَ بحروف آرامية في الدور وملوحة على المئات من العملات التي اتخذت نموذج العملات الاسكندر الكبير. وقد اتخذ الاسم "أبي إيل" مكان اسم الإسكندر الكبير، وأحياناً مرافقاً له اسم أبيه والذي من المحتمل أن يكون "بجلن أو تيم أو تيم إيل". يبدو نحن أمام عدد من أسماء الملوك تحمل هذا الاسم الذين حكموا جنوب شرق الجزيرة العربية. أما والحالة التي في المجموعة التي ندرسها - أي التي من مليحة / الإمارات العربية يبدو أن هناك اقتراح بوجود تمثال تاريخي يُسَمَّى أبو إيل كان يكث في الغالب في مليحة.

العملات قادمة من مليحة - الإمارات العربية^(٨٤).

تُعدّ العملات التي تحمل رقم ٢٧٩ أكثر العملات جمالا ودقة فنية في التنفيذ من بين مجموعة العملات شرق الجزيرة العربية، والتي تحمل الأشكال مثل الصورة وشجرة النخيل التي ظهرت على العملة "تيترادراخم" المصنوعة من الفضة. وهناك نوع آخر من الدراخما المصنوع من الفضة أكثر الأنماط المعروفة في هذه المجموعة. فتنفيذ تشكيل سَعَف النخلة ورسم جذع شجرة النخيل لا يوجد لها مثيل من بين العملات المعروفة في شرق الجزيرة العربية. كما تظهر شجرة النخيل على عملة أبولس مصنوعة من الفضة، فهي كبيرة الحجم تشبه نبتة كبيرة موضوعة في وعاء^(٨٥).

وعثر في عمانا (الدور) في أمانة أم القوين على مسكوكة نقش على وجهها رأس المعبود هرقل، وعلى ظهرها المعبود زيوس جالسا على عرشه وأمامه نخلة وحرفا HE^(٨٦).

ثالثاً: النخلة عند الكتاب الكلاسيكيين:

حظيت نخلة الجزيرة العربية باهتمام الكلاسيكيين عند حديثهم عن أحوال الجزيرة العربية، ما يؤكد وجودها بكثرة في الجزيرة العربية، فتحدثوا عن منافعها الاقتصادية وجودة ثمارها وبعده العالم النباتي ثيوفراستوس Theophrastus (٢٨٧ - ٣٧٢ ق. م) أول من عرف النخلة في التقسيم العلمي للنبات، وأطال الحديث عن زراعتها وتلقيحها وأنواع ثمرها^(٨٧). فأشار إلى تنوعها: بعضها مثمر وبالمقابل هناك غير المثمر، ومن النوع الثاني عمل البابليون الخبز وصنع بعض أنواع الأثاث، فالمثمر منه ذكوري ومنه أنثوي، وبعضها ذو نوى والآخر من غيره^(٨٨).

^(٨٤) Potts, D., *The Pre-Islamic Coinage of Eastern Arabia*. The Carsten Niebuhr Institute of Ancient Near Eastern Studies. CNI Publications 16. Museum Tusclanum Press, University of Copenhagen, 1994, 58-59.

^(٨٥) Potts, *The Pre-Islamic Coinage of Eastern Arabia*, 58, 59, 70.

^(٨٦) يوسف، فرج الله، "تنوع الخطوط على المسكوكات العربية قبل الإسلام" *أدوماتو*، العدد ٢١، ٢٠١٠.

^(٨٧) Theophrastus, *De Causis Plantarum*, trans. by B. Einarsson and G. K. K. Link, London, 1980, 2, 4, 3f.

^(٨٨) Theophrastus 1916. *Enquiry into Palnts and Minor Works on Odours and Causis* =

ويذكر ديودور الصقلي (٨٠-٣٠ ق.م) بعض مناطق زراعتها خاصة في شمال غرب بلاد العرب^(٨٩)، كما يذكر ألوان ثمارها المختلفة: الأصفر والأحمر، والمائل إلى السواد، وربما قصد التمر بعد جفافه.

وتحدث استرابون (٦٤-١٩م)^(٩٠) عن النخلة وفوائد التمر بوصفه مصدراً للخبز والخمر والخل والدبس، وذكر الاستعمالات المتعددة التي تدخل في استخدامها، مثل صناعة بعض المواد المنسوجة، واستخدامها مصدراً للطاقة حيث كان صنّاع الفضة يستخدمون نوى ثمرها بدلاً عن الفحم النباتي، كما يستخدمه المزارعون طعاماً للثيران والخراف المعدة للتسمين، ويشير إلى أغنية فارسية تعدد ٣٦٠ استخداماً لشجرة النخيل، ويذكر أيضاً وفرة وجودها في شمال غرب الجزيرة العربية ووفرة إنتاجها بالرغم من قلة مصادر المياه فيها^(٩١). أما صاحب "كتاب الطواف" فقد أشار إلى أن التمور كانت أحدى صادرات ميناء عمانا (صحار) أحد موانئ شرق الجزيرة العربية^(٩٢). وأجمل بليني (٢٣/٢٤-٧٩م)^(٩٣) في وصف أنواع النخيل: فمنها ما لا يزيد حجمه عن الشجيرات العادية، وذكر أنها في بعض المناطق تكون عقيمة وبعضها الآخر تحمل ثماراً، ويصف شكلها فيذكر أن لها صفوفاً متلاحقة من العقد والدوائر في لحائها الأمر الذي يسهل تسلقها، وأن كل أوراقها وثمارها تكون في قمته، على عكس باقي الأشجار التي توجد ثمارها داخل الأوراق، ويمتاز سعف النخيل بوجود حواف حادة له أشبه بالسكين على جوانبه، ويستخدم في صنع الحبال، والسلاسل المجدولة بأنواعها وأشكالها والفرش (الحُصر)، والمظلات الواقية من الشمس، كما يمكن استخدام النخلات بسعفها على هيئة قبة بدلاً من الجص لطلاء جدران المنازل

=*Weather Signs*, trans. Sir Arthur Hort, Cambridge, 1961, 139; Theophrastus. *De Plantarum* 2, 4, 3f.

Diodorus of Sicily, *The Library of History*, trans. C. Bradford, London, 1963, 2, 34. ^(٨٩)

Strabo, *Geography*, trans. H. L Jones, London, 1989, 16, 1. 14. ^(٩٠)

Strabo, 4. 16, 18. ^(٩١)

صراي، عمان، ١٨٧. ^(٩٢)

Pliny, *Natural History*, trans. W.H.S. Jones, London, 1992, 12, 23. ^(٩٣)

والسقف لمنع الترسيب والترشيق^(٩٤).

وقد عد بليني التمور المورد الرئيس للسكان المحليين (العرب) في إمدادهم على حد قوله بالخمور^(٩٥) التي كانوا يصنعونها من التمر كما يفعل سكان الهند^(٩٦)، كما أن بعضهم الآخر يستفيد منها في إنتاج الخبز، بينما يعتمدها قطاع كبير من السكان علفاً للماشية^(٩٧). وجاء بليني على ذكر اختلافها في حَمَل الثمار واختلاف ألوانها، واختلافها في الشكل والحجم. وذكر أفضلها وهو نوع يُسمى "التمر الملكي" وهو نادر التكاثر، وذكر معلومات أخرى ليس مكانها هذا البحث. ويشير أيضاً إلى أن ثمار نخيل التمر التي تنمو في مصر كان يُستخدم في صناعة العطور بنفس طريقة نبات behen-nut، وهو ذو لون أخضر وبرائحة السفرجل وبلا نواة في داخله. وكان يجمع في فصل الخريف قُبَيْل نضجه. وإذا تُركت ثماره مدة طويلة على الشجر يُسمى جوز- النخيل palm-nut ويتحول ليكون أسود اللون، وله خاصية تجعل من يتناوله في حالة سكر أو لا وعي^(٩٨).

رابعاً: النخلة في الشعر الجاهلي:

أثارت النخلة وجدان الشاعر في العصر الجاهلي وخياله، بشموخها وتعاليتها وصلابتها وغزارة سعفها وحلاوة ثمرها، فأثرت في جوانب عدة من وجدانه وعكست معتقده وقيمه ومبادئه، ونوع ثروته، فكانت قصائده تؤكد رمزية هذه الشجرة ومعنى الحياة والخصب الذي ألبسها ثوباً شعائرياً طقسياً متوارثاً، وما تقديسها من قِبَل أهل نجران إلا وجهاً دالاً على تقديس الجزيرة لها، وبخاصة أنه اتخذ ثمارها صنماً يعبد. واهتمام الشاعر الجاهلي في وصفها وإظهار جمالها بأسلوب بلاغي ما هو إلا منحى يبرز أهميتها للمجتمع الجاهلي، ومظهرها للتقديس وتوضيح المعتقد في النفوس، فنجد النخلة ترتبط بصورة المرأة الحسنة وترمز إلى الأنوثة والحمل

^(٩٤) Pliny, *Natural History*, 13,7.

^(٩٥) Pliny, 13, 6.

^(٩٦) Pliny, 6, 32.

^(٩٧) Pliny, 6,13, 6.

^(٩٨) Pliny, *Natural History*, Trans. H. Rackham, Cambridge, 1986, XLVII.

والإخصاب الجنسي، فكانت نخلة نجران ملجأ للنساء العاقرات يعلقن ثيابهن وحلبهن على سعفها، كما تظهر في القصيدة العربية في مواضع أخرى منها وصف الطعائن، والإبل والخيل والحرب، وفي مواضع أخرى أقل من الأولى وهي المديح والفخر والبهجاء والرثاء^(٩٩)، وكان الشاعر يخص بشعره النخل الباسق العالي المحمل بالثمر.

قال امرؤ القيس^(١٠٠) :

أَوْ مَا تَرَى أَطْعَانَهُنَّ بَوَاكِرًا كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانٍ حِينَ صِرَامٍ

وقال عبيد بن الأبرص :

كَأَنَّ أَطْعَانَهُنَّ النَّخْلَ مَوْسِقَةً سُودٌ ذَاوِبُهُا بِالْحَمْلِ مَكْمُومَةٌ

ويقدر الشاعر بأنه "حامي النخلة" مثلما هو "حامي الطعينة" فيقول امرؤ القيس^(١٠١) :

حَمَّتُهُ بَنُو الرَّبْدَاءِ مِنْ آلِ يَامِنٍ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى أُقِرَّ وَأُوقِرَا

وبعد الحديث عن الطعائن ورحيل المرأة يأتي ذكر مزارع النخل وبساتينه المشهورة في أرض الجزيرة العربية، مثل يثرب وبيسان وهجر وخيبر ومزارع ترجع إلى أفراد ميسورين في الجزيرة العربية مثل حاتم الطائي، وملهم.

يقول بشر بن أبي خازم الأسدي :

وَالْمَانِحِ الْمِائَةِ الْهَجَانِ بِأَسْرَهَا تُزَجِّي مَطَافِلَهَا كَجَنَّةٍ يَثْرِبُ

كما ارتبط ذكر النخلة بالناقة والفرس، وتمثلت المفردات بينهما، فقد سمت العرب النخلة بأسماء مشابهة لأسماء الناقة والفرس، بل سمت بناتها بأسماء النخلة في إشارة إلى الخصوبة والبركة والنفع وتجدد الحياة^(١٠٢)، ويبدو لنا ولع العرب بالنخلة في فخر الشاعر بدفاعه عنها،

^(٩٩) محمد موسى على العبيسي، النخيل في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢.

^(١٠٠) ديوان امرؤ القيس، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي، ط ٢، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤م)، ١.

^(١٠١) ديوان امرؤ القيس، ٩٣.

^(١٠٢) أبوسويلم، "النخلة في الشعر الجاهلي"، مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، المجلد السادس، العدد الثاني، (الأردن: ١٩٩١م)، ١١١.

وبأنه "حامي النخل"، فهي إحدى مصادر ثروته التي تمثلت في النعم والنخل، فتمنحه القوة والمنعة والثراء فيقول أبو دؤاد الإيادي:

بعدهما كان سرب قومي حيناً لهم النخل كلها والبحار^(١٠٣).

نتائج البحث:

استعرض البحث الفترة الزمنية التي يعتقد العلماء والمختصون في هذا المجال أن بداية زراعة النخلة تعود إليها، وهي حوالي ٥٠٠٠ عام ق.م في منطقة الأندوز. وأن كثرة الأسماء المتعلقة بها في مختلف الفترات التاريخية ومختلف المناطق الجغرافية ينبئ عن انتشارها في مختلف الفترات التاريخية والمناطق الجغرافية.

وبقدر ما كان للنخلة من تأثير على حياة الإنسان على الصعيد الجمالي أو الديني، فقد خلّد رسمها في عدد من الأماكن التي تحظى بقدسية عالية مثل المعابد، أو بأهمية بالغة مثل القصور، وحتى جاء تخليدها على الأختام التي جاء استعمالها في الصعيد التجاري رمزية مباركة، كما جاء رسمها على النقود لذات الغرض. ولشدة الاهتمام وتأثيرها سُميت بشجرة الحياة.

وكان لسكان منطقة الجزيرة العربية نظرة عميقة ذات دلالة لهذه الشجرة، إذ أوردت النقوش المعينية النخيل بسمة دينية فتعدها الإله عثر بالعناية، وجاء استصلاح النخيل في موسم ذي قدسية. وأن مياه منطقة النخيل لها لمسة سحرية في الاستشفاء. واتخذ أهل نجران منها معبوداً جعلوا منه مزاراً يحجون إليه. واتخذت منها الإلهة العزى سكناً. واستمر الفكر الأسطوري لقدسية هذه الشجرة عبر جميع الفترات السابقة، واستمرت مظاهر تقديسها في الممارسات اليهودية والنصرانية حتى يومنا هذا.

واهتم الكتاب الكلاسيكيون بالنخلة وركزوا على القيمة الاقتصادية لها، فلم نجد في كتاباتهم حالة التقديس الديني التي تضمنتها المصادر الأخرى، وجاءت كتاباتهم بأسلوب تقريرية

^(١٠٣) أبو سويلم، النخلة في الشعر، ١٢٤.

١٩٠ النخلة في الجزيرة العربية من خلال المصادر العربية والكلاسيكية قبل الإسلام

عن أساليب التقنية الزراعية وأنواع النخيل وأسمائها وألوانها وأشكالها، وأماكن وجودها، ووصفوا أهلها أنهم أصحاب غنى وثراء، في حين لم يرد هذا التفصيل من الوصف في النقوش العربية.

أما أهميتها القصوى فتظهر لنا في ديوان العرب وهو "الشعر الجاهلي" إذ نجد فيه الكثير من القصائد التي أكدت ولع العرب بها، و فكانت أحد النوعين لمصادر الثروة وهما (الأنعام، والنخيل)، ورمزاً من رموز العبادة، وعنصراً ملهماً للوجدان، ومن ثم كانت جزءاً من الحياة اليومية في حياة الإنسان العربي.